مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13 ع 01، 16 /01/ 2024
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الإنسانية الفائقة وما بعد الإنسانية، نحو فلسفة للإنسان الجديد

Transhumanism and posthumanism towards the philosophy of the new human being

هشام معافة Hichem Maafa * hichem.maafa@univ-constantine2.dz	فلسفة	جامعة قسنطينة2- عبد الحميد مهري/ الجزائر

DOI : 10.46315/1714-013-001-006

الإرسال: 2023/06/29 القبول: 2023/10/25 النشر: 2024/01/16

**

Abstract:

The objective of this article is defining the new human healing and criticizing its results, if these philosophies – Transhumanism and posthumanism- represent a new phase of the history of humanity come in after a humanitarian lights and this philosophies call for the use of unlimited technologies NBIC to uphold and improve the capacities of the human. This Technology will overthrown our lives radically, so that we will see in the future an initial stage for the disappearance of all what is humanitarian and biological and to be replaced by a new active human/ machine. And as second stage, humanity will be replaced by a supernatural artificial intelligence or an autonomous machine. Man is no longer – as Max More says-just a darwinienne selection, but has become able-through scientific begging to choose his destiny and build his future in complete independence . However, this unconditional use of technology for the purpose of transforming man raised many fears. and dangers,even francis fukuyama considered transhumanism as the most dangrous idea for humanity ,and our task in this article is to evaluate ethically speaking, the consequences .

Keywords : Transhumanism; Posthumanism ;Evolution ;Choose ; Ethics.

ملخص باللغة العربية:

هدفنا من هذا المقال هو التعريف بفلسفات الإنسان الجديد ونقد مخرجاتها، إذ تُمثِّل هاته الفلسفات مرحلة جديدة من تاريخ الإنسانية تأتي في أعقاب إنسانية الأنوار، وهي فلسفات تدعو إلى الاستخدام اللامحدود لتكنولوجيات لتحسين قدرات الإنسان. ستقلب التقنية حياتنا بشكل جذري، بحيث سنشهد في المستقبل زوال كل ما هو إنساني وبيولوجي ليحل محله فاعل جديد مهجن إنسان/ آلة، تمهيدا لاستبداله بذكاء اصطناعي خارق أو بآلة ذات استقلال ذاتي. لم يعد الإنسان –كما يقول "ماكس مور" مجرد لعبة في يد الانتخاب الداورويني بل أصبح قادرا على أن يختار مصيره ويبني مستقبله في استقلال تام. بيد ان هذا الاستخدام اللامشروط للتقنية أثار الكثير من المخاوف حتى أن "فرانسيس فوكوياما" اعتبر أن "ما بعد الإنسانية" أخطر فكرة على الإنسانية، ومهمتنا في هذا المقال هي مقاربة هذه الاستتباعات من الناحية الأخلاقية.

كلمات مفتاحية: الإنسانية المتحولة؛ ما بعد الإنسانية؛ تطور؛ اختيار؛ أخلاق.

**

* - هشام معافة: hichem.maafa@univ-constantine2.dz

1- مقدمة :

مجال الإشكالية التي نروم معالجتها في المقال هو الاكسيولوجيا، غرضنا منها مناقشة مخرجات تطبيقات التقنو علمي على الحياة وأثرها على مصير الإنسانية. ترتبط إشكالية المقال بفلسفات ما بعد الانسان التي تبحث عن انسان فائق عبر التوسل بالتقنو علمي. لم يكن "نيتشه "فيلسوف العدمية ليتصور أن مفهومه عن الإنسان الفائق أو "السوبارمان" بما هو كائن قادر على خلق قيمه الخاصة وبسطها وفقا لمنطق إرادة القوة قد اتخذ صورة مغايرة تماماً؛ فهذا الفاعل الجديد لا يجترح –في عصر التقنو-علمي- تفوُّقه من تعاليه على قيمه الرُّوحية بل في انعتاقه من طبيعته البيولوجية التي جعلت منه موجوداً ناقصاً وإنساناً مستضعفاً، فالإنسان البيولوجي الَّذي أثقل كاهله المرض والأوبئة والموت أضحى يتوق الآن إلى الخلود والسعادة والقضاء على الشيخوخة بما توفره له التقنو-علمي من إمكانيات لتغيير طبيعته عن طريق التهجين إنسان/ آلة، ومن ثم تعديل وضعه الأنطلوجي ليستحيل من موجود مغلوب سمته الضعف والهوان إلى إنسان متألِّه لا يعرف أي صورة للعجز والقصور، إنسان خالد قادر على خلق طبيعته الخاصة. هذا التَّحول الجديد بما هو وضع مستحدث تُنافح عنه الآن أيديولوجيا جديدة عرفت انتشاراً واسعاً في الولايات المتحدة الامريكية وهي ما تسمى بالإنسانية المتحولة transhumanisme وما بعد الإنسانية Posthumanisme.

غرضنا من هذا المقال هو الوقوف على هاذين التَّيارين تعريفاً وتأويلاً وتنضيداً للمبادئ، ثم نقد مُخرجاتهما من منظور أخلاقي وعقدي إسلامي. فهل ينبغي أن نقف في وجه وعود العلم المستقبلية وما تجلبه من سعادة للإنسانية، وعلى نحو خاص القضاء على الشيخوخة والأمراض الوراثية المستعصية، ألا يتطلَّب تطور البحث العلمي الجرأة والمخاطرة أكثر من الالتزام الحرفي بمبدأ الحذر والحيطة، أليس من الموائم تأطير هاته الاتجاهات بشكل عقلاني وحكمة على المستويين الطِّبي والأخلاقي لا منعها ومناهضتها؟

تغرف أهمية موضوع المقال من كونه يناقش مستقبل الإنسانية في ظل هيمنة التقنوعلمي واستشراف المخاطر التي تطرحها فلسفات الجديد بالنسبة للطبيعة الإنسانية ومستقبل الانسان، فهل ينبغي حضرها أو تركها لتحقق أهدافها دون حسيب أو رقب؟

أما بالنسبة للدراسات السابقة فهي شحيحة جدا لا نكاد نصادفها في الفكر العربي وربما أهمها هي ترجمتنا لجزء من كتاب "لوك فيري" "Luc Verry" "ثورة الإنسانية الفائقة".

2- المنهج وطرق معالجة الموضوع:

اعتمدنا في تحليل الإشكالية على المنهج التحليلي من خلال تحليل أهم نصوص ممثليها، وتحليل اهم المفاهيم التي تقوم عليها مثل "الاكستروبيا" "Extropie" و"التفرد التكنولوجي"

"singularité"، بالإضافة الى المنهج النقدي حيث عمدنا الى نقد مخرجات هاتين النظريتين من منظور فلسفي ايتيقي وديني عقدي إسلامي.

3.الانسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، من التَّطور إلى الاختيار:

كان هذا التَّحول نحو استغلال تطبيقات التقنو-علمي مفصليا في تاريخ الإنسانية آذن ببداية عهد جديد شكل –برأي دعاتها- مرحلة ارتقاء الإنسانية في سلم التَّطور إلى سن الرشد، ونجد لهاته الفكرة سنداً في مقال لـ"ماكس مور" "Max Mor" -وهو من أشدِّ المدافعين عن هذا التَّيار- تحت عنوان "رسالة إلى أمنا الطبيعة" "*A Letter to Mother Nature*" "Lettre à Mère Nature"، توجَّه في متنه إلى الأم الطبيعة برسالة مفتوحة يُحاكي فيها نَبْرَةَ راشد يُحادث والديه بكل احترام، ومقتضاها: "لقد سَمَحْت يا أُمنا الطبيعة بتطور رائع تمكنت بفضله الكائنات أحادية الخلية البدائية من التَّطور وأضحت هذه الإنسانية التي تتمتَّع بالذكاء واللُّغة والفضول والإبداعية..." (More, 2013, p. 449) لكن الوقت قد حان كما يقول: "... لتحصل الإنسانية على استقلالها" (More, 2013, p. 450)، لجهة أن هذا التَّطور لم يعد في مستوى الآمال والتطلعات التي نرجوها، فالإنسانية عاجزة عن منافحة الشيخوخة والألم والمرض وكل أشكال التَّحديد التي فُرِضَتْ عليها من طرف طبيعتها البيولوجية. والمحصلة؛ يُعلن "ماكس مور" باسم الإنسانية الخروج من عصر الطفولة إلى عصر الرُّشد كعصر للاستقلالية واتخاذ القرار، عصر تكون فيه الإنسانية قادرة على وضع معاييرها وأهدافها الخاصة (Dorthe, 2014, p. 81).

سنحاول فيما يلي استجلاء هذا التَّحوُّل وتوصيفه من خلال عرض أهم اتجاهاتها، والتي يمكن حصرها في اتجاهين رئيسين: الأول، ويسمى بـ"الاكستروبيا"، ويُعبِّر عن مرحلة ادماج التقنية داخل الحياة، وهي مرحلة شرعت فيها الإنسانية الى حَدٍّ جعل البعض يقول إن الإنسان الذي سيعيش ألف سنة قد ولد الآن.

والثَّاني ويسمى بـ"التفرد"، ويُعبِّر عن مرحلة استبدال الإنسانية كلياً بالذكاء الاصطناعي، وتشكل الشَّبكة الذكية "Google" "غوغل" صورة مسبقة عنه.

بالنسبة للاتجاه الأول لخص "ماكس مور" أهم أهدافه في سبعة مبادئ سنة 1998، نُفصِّلها تواليا:

المبدأ الأول: عبَّر عنه "ماكس مور" في الشعار التالي: "التَّقدم الدَّائم أو الأبدي" (More, 2013, p. 450)، وهو شعار يحذو الاكستروبيون في صياغته حذو أقرانهم من العقلانيين والإنسانويين نحو البحث المستمر عن التقدم الثابت في كل المجالات، بل ذهبوا أبعد منهم حينما اعتبروا أن التَّقدم يسير اليد في اليد مع تعديل الطبيعة الإنسانية، بالرغم من أن توجُّههم هذا يصدم أهم عقيدة

يؤمن بها البيومحافظين وهي الحفاظ على الطبيعة البشرية كما شكلتها الإرادة الإلهية أو الإبقاء عليها في حالتها الطبيعية دون المساس بها أو تعديلها. يؤمن الاكستروبيون بقدرة النوع الإنساني على دفع عجلة تطور الطبيعة البشرية إلى أقصى الحدود على نحو ينكرون أي سلطة تفرض على الإنسان من علٍ سواء أكانت مبدءً مقدسا أو حدوداً متعالية (Couturier, 2016, p. 31).

أما المبدأ الثاني فنصوغه في عبارة: "التَّحول الذاتي" (More, 2013, p. 450)، والسبيل إلى تحقيق هذا المبتغى هو المنافحة ضد كل دوغما سواء أكان دينياً أو سياسياً أو فكرياً، فلكل فرد أن يتبنى قيمه وسلوكياته التي يختارها لنفسه ويتأملها بذاته أكثر من اهتمامه بقيم غيره والالتزام بها. والأولوية لديه تكمن في التَّحول الذاتي لا تحويل الغير. لا يبحث الاكستروبيون عن تحسين العالم بل يكتفون بتقدم مثال أو نموذج لتبليغ أفكارهم (Couturier, 2016, p. 31)، بيد أن هذا لا يعنى هذا أنهم يستبعدون الآخر على نحو مطلق، إذ يترافق مقصدهم هذا مع محاولة فهم الأخر والتأسيس لعلاقات مبنية على الصدق المتبادل والتواصل المنفتح والرعاية الدائمة.

ومقتضى المبدأ الثَّالث هو "التَّفاؤل العلمي" (More, 2013, p. 450). وهو سلوك إيجابي وديناميكي للسيطرة على حياتهم وتحقيق أحلامهم في هذا العلم عوضاً من تحمل أوزار حياه غير مرضية مغرقة في أحلام اليقظة والخيال. هذا ما يدعوه أنصار هذا التَّوجُّه بالتفاؤلية العلمية، وهي تسير في خط موازٍ للإيمان السِّلبي، لذا تُوسَمُ دائماً على أنها تفاؤلية نقدية ترفض التَّسليم أو الإيمان بمستقبل أحسن وتعتبره ثقة عمياء في قوى مفارقة للإرادة الإنسانية موصولة بالإرادة الإلهية أو أيَّة سلطة أخرى مهما كانت، إن الإيمان سلبية يَعِدُ بالتَّقدم باعتباره هبةً من قوى عليا ينبغي التقرب منها والتضرع لها. في المقابل تُثمن التفاؤلية العلمية المبادرة والفكر، لأن الوعي الإنساني قادر على تحسين الحياة من خلال جهوده الخاصة.

أما المبدأ الرابع يرتبط بالتكنولوجيا الذَّكية (More, 2013, p. 450). وهو توجُّه يروم الدِّفاع عن العلم ضد الرهبنة، والتقنية ضد التضرع والصلاة، فالعلم والتقنية وسائل ضرورية لتحقيق قيم الاكستروبيين وأفكارهم لاستكمال التَّطور الإنساني (Dorthe, 2014, p. 81). ومبتغاهم هو تطوير تكنولوجيا أكثر مرونة أو ذكية تمتلك القدرة على التفاعل، فهم يأملون في إدماج هاته التكنولوجيا الذكية داخل الجسد الإنساني أو كيان ما بعد إنساني لزيادة قدرات الإنسانية وتوسيع مجال حريتها. (Couturier, 2016, p. 32).

يتجلَّى المبدأ الخامس في "التأسيس لمجتمع مفتوح والدفاع عنه" (More, 2013, p. 450). يُفضل الاكستروبيون المجتمعات الحامية للتبادل الحرّ للأفكار وحرية النقد والتجريب. فهم يرومون التأسيس لعقلانية نقدية داخل المجتمع بنظرتهم إلى كل مؤسسة أو كل تنظيم اجتماعي كما لو كان قابلا للتَّحسين. تُقيِّد المجتمعات المغلقة كل إبداعية وتعدُّدية وكل اختلاف في الرأي، على نحو

لا يسع الاكستروبيا أن تحقق أهدافها إلا في لدن تنظيمات اجتماعية مفتوحة لا داخل أنظمة تيوقراطية وأخرى سلطوية مغلقة، (Couturier, 2016, p. 33).

أما المبدأ السادس فمداره "الاستقلالية أو التوجيه الذاتي" (More, 2013, p. 450)، ضد كل سلطوية تشكك في مدى أمان وفعالية وسائل التجريب المختلفة، لجهة أن المسؤولية الشخصية والتوجيه الذاتي لا يتواءمان مع الهيمنة المركزية المتسلطة التي تقييد الخيارات والتنظيم العفوي للأشخاص المستقلين. يصف الاكستروبيون أنفسهم على أنهم فردانيون عقلانيون يحيون تبعا لخياراتهم التي يتخذونها بروية وتأمل، وعجز الإنسانية أو ضعفها يكمن في تمسكها بالدين أو السياسة أو الأخلاق وهي بمثابة تنازل للآخرين عن التوجيه العقلاني لحياتهم وأفكاره، لأن التوجيه الذاتي للحياة يتطلب من كل واحد أن يحدد قيمه وأهدافه وأفعاله(Couturier, 2016, p. 34).

(Laurent, 2011, p. 22). فلم يعد برأيهم لا المرض ولا الشيخوخة ولا الموت قَدَراً محتوما على الإنسان: لذا تعتبر الرغبة في الخلود أطروحة مركزية في هذا الدين الجديد.

يأتي الفكر العقلاني في المحور السَّابع (More, 2013, p. 450)، ومؤداه رفض الاكستروبيون للاعتقاد الأعمى والفكر السِّلبي الذي يتحوَّل في نهاية الأمر إلى وثوقية، وإذاك منافحة كل سلطة فكرية نهائية، فكل المعتقدات برأيهم عرضة للخطأ لابد من وضعها تحت محك الشك والاختبار والمساءلة النقدية. وعليه كانوا يميلون دائماً إلى استبعاد الوحي والسلطة والانفعال أو العاطفة كمصدر صالح للمعرفة (Couturier, 2016, p. 35).

ويأتي الاتجاه الثاني في أعقاب التَّطورات الجديدة التي عرفتها الاكستروبيا في القرن الواحد والعشرين كامتداد لها، فالتفرد حركة تؤمن بضرورة إنتاج ذكاء أسمى من الذكاء الإنساني. وما يُراد بمصطلح التَّفرد هو الخروج نهائياً من البيولوجي والإنساني؛ سيبلغ تطور الروبوتيك والذكاء الاصطناعي مرحلة أين سيتم تجاوز الإنسان كلياً ليعوض بآلات مستقلة أو بوعي أو ذكاء شامل أسمى بألاف المرات من الذكاء الإنساني، ذكاء تُمثِّل الشبكات التي انتجتها "غوغل" صورة مسبقة منه (Ferry, 2016, p. 56). قد نجد لهذا التَّيار سنداً في "الايكولوجيا العميقة" " l'écologie profonde contemporaine" المعاصرة التي طورت من قبل "جامس لوفيلوك" "James Lovelock" في كتابه الموسوم بـ"الارض كائن حي" "La terre et un être vivant"، في متنه عرض أطروحته عن الـ"غايا" "Gaïa"، لم تعد الأرض مجرد دعامة حاملة للأنظمة البيولوجية، بل خلافاً لذلك اعتبرها كائناً حياً، بمعنى شخص مفكر يتأمل ذاته ويعيها من خلالنا، فالإنسانية هي الرأس أو هي عقله المفكر. وكما في "التيوجينيا" لـ"هوزيود" مُنِحَتْ الأرض صفة الشخص ورفعت إلى مرتبة ألوهية مقدسة تتمتع بالذكاء، على نحو لا ينبغي أن ننظر الى العلوم والتكنولوجيات التي طوَّرها البشر كجزء مندمج في الأم الطبيعة بما هي حدث عارض غير متوائم مع الطبيعة، بالعكس علينا أن

ننظر إليها بوصفها مستوى عالٍ من الوعي أو كذكاء وفكر كلّي تتمتع به الطبيعة ذاتها (Ferry, 2016, pp. 56-57). تصير "الغايا" هكذا كائناً يُطوِّر -من خلال مكوناته وتحديداً من خلال الإنسانية -معارف تسمح لها بحماية نفسها والتَّكيف والبقاء. لقد وسع تطور الإنسان العاقل "*Homo sapiens*" كما يقول "لوك فيري": "عن طريق إبداعه التكنولوجي وشبكة التواصل الدقيقة بشكل معتبر مجال إدراك "الغايا". بفضلنا أضحت الآن متيقظة وواعية بذاتها. لقد رأت انعكاس وجهها الجميل من خلال أعين رواد الفضاء وكاميرات التلفاز المثبتة في المركبات الفضائية السابحة في المدار. إنَّها تتقاسم شعورنا بالتعجب والرغبة، وقدرتنا على التأمل والتفكير بطريقة واعية، وفضولنا الذي لا يشبع" (Ferry, 2016). بيد أن هاته الصِّلة بين الإنسان و"الغايا" لم تكتمل نهائيا؛ فنحن كما يرى لسنا بعد نوعا مشتركاً بالفعل، لسنا جزءً متكاملاً في الفضاء البيولوجي، لا زلنا نحيا باعتبارنا مخلوقات فردية. لكن من الممكن أن قدر الإنسانية أن تروض على نحو تنصهر القوى الشرسة المدمرة، سواء أكانت قبلية جشعة أو وطنية، داخل حاجة مُلحَّة للانتماء إلى مجتمع كل الكائنات التي تشكل الغايا" (Ferry, 2016, p. 58).

لا تحيد ما بعد الإنسانية عن هذا المبتغى، فبفضل الشبكة الذكية التي أسَّست لها "غوغل" سيتحقق سيناريو الخيال العلمي الذي أعدَّه "اسحاق ايزاموف" "Isaac Asimov" منذ زمن طويل، فهي لا تشير هنا إلى التحسين فحسب بل إلى تجاوز جذري للإنسانية على المستويين الفكري والبيولوجي، بحيث لا نصادف أي شيء من الإنساني أو الحي. يفترض "راي كروزول" " Ray Kurzweil" وأتباعه أن المعرفة ستتموضع خارج الجواهر البيولوجية، لأن الفكر والذكاء والانفعالات سيكون من الممكن تخزينها على دعائم معلوماتية support informatique.

أثارت أفكار "راي كروزوال" –خلافاً للإنسانية الفائقة الأولى التي كانت بعيدة عن التَّخييل- الكثير من الانتقادات من طرف العلماء، إذ تتجلَّى ما بعد الإنسانية على أنها يوتوبيا أكثر منها عقلانية علمية، وبعبارة أخرى تقوم أيديولوجيا التفرد في جزء كبير منها على نزعة فلسفية مادية تختزل الوعي الإنساني ضمن تأمل ميكانيكي بتصورها للجسد الإنساني كآلة عصبية، ولا ترى بين الآلة والدِّماغ، بين المادة والرُّوح، إلاَّ اختلافاً في الدَّرجة لا في الطبيعة، وهذه تحديدا منظورية مادية متناقضة مع الإنسانية الروحية، وعلى نحو خاص نزعة مناهضة لكل تقليد ديني (Ferry, 2016, pp. 59-60).

خير من دافع عن هاته الفكرة بالرغم من توجهه العقدي المسيحي هو "جون ستون" " Jean Staune" في كتابه الموسوم بـ"مفاتيح المستقبل" "Clés du futur"، في متنه دافع عن فكر ما بعد الإنسانية بما هو فكر واقعي قابل للتحقق لا مجرد يوتوبيا أو خيال علمي، فبينما يعترف ببعد العلم عن فهم الدماغ الإنساني والكيفية التي يمنح بموجبها ميلاداً للوعي، أو هذا الإحساس الذي

نمتلكه جميعاً بالوجود والرغبة في الاستمرار في الوجود، والذي ينفي عنه كل سِرٍّ فوق إنساني لأن الإحساس بالوجود الذي ندعوه وعيا قد تشكل خلال ملايين السِّنين من التَّطور، فهو يعتقد أن العلم سيصل يوما ما بفضل دراسة متقدمة على نحو كافٍ للدِّماغ إلى فهم عمل الوعي ومن ثم ابتكار آلة لديها القدرة على بلوغ مستوى الوعي الإنساني نفسه، ومن ثم مستوى التَّطور ذاته الذي أدركه النوع الإنساني. والإيمان –كما يرى جون ستون- بما يخالفه باسم ما تتميَّز به الإنسانية من خصوصية مُضلِّلة ليس في الحقيقة سوى موقفاً رجعياً يستوحي أفكاره من معتقدات دينية ضدّ تقدمية أثبتت ما بها من فاقة من خلال الهزائم التي منيت بها على المستويين العلمي والمجتمعي خلال القرون السابقة. ولئن أمكن ابتكار مثل هاته الآلة المكافئة للكائن الإنساني–في المستقبل القريب أو البعيد- ستكون النتائج رائعة ومخيفة في الوقت نفسه (Ferry, 2016, pp. 60-61). رائعة لأن هذه الآلة بمقدورها أن تتعلَّم في استقلال تام على مدار اليوم دون توقف، وأن تعيد إنتاج ذاتها وصناعة آلات أخر، وبإمكانها أن تُحَسِّن ذاتها دون توقف، وبخاصة كأي كائن دارويني، يتوجه اهتمامها الأول نحو إزاحة الكائنات القادرة على أن تضع حداً لوجودها، أن تقطع عنها الاتصال، والفرضية التي تثير مخاوفنا أكثر من الآلة هي قدرتها على الاطلاع على كل الكتب والمعلومات الممكنة على وجه البسيطة، حتى تلك المتعلقة بكيفية وضع حد لوجودها.

إن الإنسانية الفائقة من منظور المدافعين عنها عقلانية مطلقة ونظرة إلى العالم مادية وملحدة تنبني كما في أزمنة الأنوار على الرُّوح النقدية ضدّ الاعتقاد الأعمى، ضدّ السلطوية والدوغمائية الوثوقية ذات الصلة بكل أشكال النزعة التراثية والتقليد (Ferry, 2016, p. 84). والأمر كذلك خاصة بالنسبة للمفكرين اللبيراليين من أمثال "نيك بوستروم" ".Nick Bostrom" الذي تحدث عن الأمر معتبراً أن الإنسانية الفائقة هي إنسانية الأنوار مضافة إليها التكنولوجيات"، سيسمح استخدام التقنو-علمي للإنسان بالتحرر من حدوده الفيزيائية والفكرية والنفسية، كما سمح عصر الأنوار للإنسان من اعلاء الفكر والتحرر من حبائل الفكر التقليدي، وهذا ما جلب تغييرات عميقة وناجعة في المجتمع على جميع المستويات وبخاصة المستوى السياسي.

4- النتائج :

نصوغ أهم النتائج التي توصلنا اليها من خلال تحليلنا للإشكالية على النحو التالي:

قد نُسلِّم بمصداقية هذا الرَّأي، ولكنه، ولئن كان يُحرِّر الإنسان من جهة فهو يؤذن بانبثاق عالم سلطوي دكتاتوري جديد على نحو ما وصفه "ألدوس هكسلي" "Aldous Huxley" في روايته المشهورة "عالم رائع " "Meilleur des mondes". لا يمكن استبعاد خطر الدكتاتورية إذا كان الولوج إلى تكنولوجيات الإنسانية الفائقة محصورا على الاقلية التي تملك الثروة لاقتنائها وتملكها،

وعليه تفرض تبعا لذلك قانونها وسلطتها على باقي أفراد المجتمع. فإلى أي مدى ينبغي الوقوف باسم هذا الخطر أمام تطور تكنولوجيات NBIC (ن ب م ع)؟

بيَّن التاريخ، وهذا موقف "لورون الكسندر" "Laurent Alexandre" أن الإنسان عاجز عن مقاومة إغراءات الجديد، خاصة حينما يخفي بين جنباته أخطارا. وعلى الرغم من الكارثة الإنسانية التي خلفتها قنبلتي "هيروشيما" و"نكازاكي" لم يتراجع استخدام السلاح النووي بل تطور واصبح سلاحا استراتيجيا في يد بعض الدول تساوم به باقي العالم (Laurent, 2011, p. 100)، ونحن نشهد الآن في الحرب الروسية ضد أو كرانيا استخدامه كصمام أمان ضد أي تدخل من الحلف الاطلسي. لن يقاوم الإنسان اكتشافات البيوتكنولوجيا الجديدة إذا كانت تسمح له بتطوير قدراته، ومن ثم الانتصار على الموت والشيخوخة والمرض، وحجتهم بسيطة جدا تنبني على الأخلاق البراغماتية والعواقبية، إذا كانت التقنو-علمي تجلب للإنسانية السعادة فلماذا لا نستخدمها وحسب.

لنفكر بروح المستقبل وسنرى أن الأخلاق تتطور كما يتطور كل شيء، وإذا ما أخذنا هاته الامكانية على محمل الجدّ، يمكننا رؤية أن أي فرد بعد مرور مائة سنة لن يرغب في البقاء على حاله، إنسانا عاديا مهملا ومريضا وضعيفا في الوقت الذي سيتمتع اقرانه بالصحة والسعادة والعيش لمدة طويلة. من سيكتفي بامتلاك ذاكرة إنسانية بسيطة عندما تمنح الرقائق البيولوجية للإنسان ذكاء اصطناعيا يفوق العقول الإنسانية مجتمعة بملايين المرات؟ فضلا عن امكانية الولوج المباشر الى كل بنوك المعلومات؟

والجواب بسيط: إن ضغط الجماعة ومسايرة المعايير الاجتماعية السائدة، هي التي ستضمن انخراط عدد كبير من الأفراد. لقد أضحى هذا الأمر واقعا طبيا، نحن أقرب الى الإنسانية الفائقة أكثر مما نعتقد، سمح لنا العلم والطب أن نمدد أكثر من الأمل في الحياة. لدينا الأن أدوية كيميائية فعالة لعلاج الكثير من الامراض، وأعضاء اصطناعية لإصلاح أطرافنا ومكافحة عجزنا الفيزيائي وغيرها (Laurent, 2011, p. 96). ليست الإنسانية الفائقة بهذا المعنى سوى استمرارية لحركة قديمة تروم علاج نقائصنا الفيزيائية، والتي بدأت منذ بعض القرون مع ابتكار العكازين والنظارات. لماذا نرى في ابتكار النَّظارات التي تُعيننا على الرؤية الجيدة انتصارا، ونرفض القيام بجراحة للعين تسمح بالقضاء على انحباس النَّظر؟ ولماذا نرفض التكنولوجيا التي تسمح بذلك؟

كل هذا لا يتحقق بين ليلة وضحاها، بالتأكيد، لأن مرحلة الإنسانية المتحولة ستستمر لمدة طويلة حتى يتم العبور إلى ما بعد الإنسانية، خطوة خطوة وسنة بعد سنة وابتكار بعد ابتكار ستُتحقِّق ما بعد الإنسانية مبتغاها. ستتمتع ما بعد الإنسانية بذكاء اصطناعي فائق يربط الإنسان ويصله بفضاء افتراضي فوق واقعي من اختياره. لن يبق جسده مريضاً ولن يهزل، وسيسمح له

بالحفاظ على عافيته وشبابه، لن يكون هنالك أيّ مكان للتّعب الفيزيائي والعقلي (Laurent, 2011, p. 97). وهذا تحديداً ما يدعوه علماء الدين والايكولوجيون المحافظون بنهاية الإنسانية.

5- مناقشة النتائج- الإنسانية الفائقة وما بعد الإنسانية، مقاربة نقدية :

تزداد مع هيمنة فلسفة الإنسانية المتحولة وما بعدها مظاهر الشَّرخ بين الإنسان والقيم على نحو آذنت بأفول القيم ونهاية الأخلاق، وما الاستعارات الايتيقية التي ابتدعتها مثل الأخلاق البراغماتية والعواقبية والتي تبرِّر رغبتها في دفع منطقها إلى أبعد الحدود ليست سوى استغراقاً أكثر فأكثر في المادية والأداتية. فما بعد الإنسانية هي صورة مُتطرِّفة من النَّزعة التَّطورية التي ترى في الإنسان الآلة قُلَّة هرم التَّطور.

سنحاول فيما يلي مُساءلة مطارحات فلسفة الإنسانية المتحولة وما بعدها، وسنحصر مدار نقدنا لها في محورين رئيسين:

المحور الأول: مقتضاه ضرورة احترام الطبيعة الإنسانية وانبثاق الأخلاق التَّطورية.

المحور الثاني: نقدها من منظور عقدي اسلامي.

مقتضى المحور الأول: لئن مكَّنت الهندسة الوراثية للإنسان إعادة تشكيل البيولوجيا البشرية والجينوم الإنساني، فإنَّ العضوية الإنسانية هي –في المقابل- كلاً منتظما وفق منطق غائي، وكل رغبة أو محاولة لتعديلها أو إعادة تشكيلها خلافاً لحكمة الطبيعة مهندس قوانين التَّطور، عبر اللَّهث وراء سراب التَّحسين، تُزحزحها لا محالة إلى غير مقصدها الأصلي وتعلن عن فنائها فتأتي الإنسانية بالمضرَّة والشَّقاء من حيث أرادت المصلحة والسعادة. لا يختلف اثنان في أن وضع الإنسانية اليوم لا يمثل وضعها المثالي، ومع ذلك فهي راضية بما هي عليه، ومن الخطأ المخاطرة عبر الانزياح من وراء غاية مبتذلة وهي التَّحسين. لا يزال المشتغلون بالتحسين الطبي يرومون الكمال وهم مأسورون بهاته الغاية ومنخرطون في تحقيقها مهما كان الثمن، بيد أن هذا المبتغى يتعارض على نحو مطلق مع من يقدرون هبات الأم الطبيعة حق قدرها، وهم يُبدون دائماً امتنانهم واعترافهم وتقديرهم لما منحته إياهم.

يُعد "فرانسيس فوكوياما" "Francis Fukiyama" من أهم المفكرين الذين عارضوا فكر فلسفة الإنسانية الفائقة وما بعدها، مُعتبراً إياها أخطر فكرة على الإنسانية. فكل محاولة لتعديل الطبيعة الإنسانية هي تهديم للأخلاق الكونية؛ لأن الأخلاق بالنسبة للبيومحافظين تكمن في احترام السِّمات الطبيعية المشتركة بين البشر، وعدم احترامها بالرغبة في تعديلها هو تهديم للأسس الطبيعية للأخلاق. فكل محاولة -من منظور "فوكوياما"- لتعديل الهبات البيولوجية للأفراد هي

ايذان بنهاية الإنسان ومن ثم فهي تهديد لاستمرار النوع الإنساني كنوع اخلاقي (Ferry, 2016, p. 105).

كان غرض "فوكوياما" هو إعادة بعث الفكرة اليونانية، وخاصة فكرة "أرسطو"، التي بموجبها تتجذَّر الغايات الأخلاقية في الطبيعة، في وجود الأشياء ذاتها، في النظام الطبيعي "للكوسموس" "Cosmos". وعليه وضع على عاتقه الدِّفاع عن تصور مختلف للطبيعة عن النظرة الحداثية، تحديداً النيوتنية والكانطية، التي بموجبها تكون الطبيعة سيئة من منظور أخلاقي، وهي أنانية تميل إلى الانتخاب الأعمى الذي لا يُعِيْرُ أي اعتبار للكائنات الضعيفة (Ferry, 2016, p. 112). استلهم "فوكوياما" هذا التَّصور من أعمال علم الاجتماع البيولوجي ومنظري الأخلاقيات التَّطورية، فالطبيعة في نظره كما في القدامة اليونانية "كوسموس" متناغم عادل جميل وخيِّر، ومن مصلحة البشرية جمعاء الاستلهام منه. اتخذت هاته الأطروحة في الأخلاقيات التَّطورية الموروثة عن داروين صورة متطرفة: وهي تقوم على الاعتقاد بأن النَّوع الإنساني سيختار في النهاية الأخلاق المؤثرة للغير Morales Altruistes. هكذا سيسمح التَّطور الطبيعي للإنسانية بإدراك أن مصلحتها في النهاية تكمن في التعاون والسلم والانفتاح لا في الصراع والحرب والانغلاق على الذات. ومن هاته المنظورية الداروينية الجديدة دافع الفيلسوف الأمريكي "ميشال ريز" "Michael Ruse" عن الأخلاق التَّطورية.

بالنسبة لـ"ريز" تعتبر الأخلاق، أي معنى الخير والشر والواجب، الثمرة الأخيرة للتطور، بمعنى هي المنتوج الأخير للتطور الطبيعي. ستختار الإنسانية، حسب الداروينية وحسب صدف تحولاتها الجينية شيئاً مماثلاً لنظرية "جون راولز" "Jean rawlz" عن العدالة: أخلاق انصاف متمركزة حول احترام الآخر وحقوق الإنسان.

أمَّا المحور الثاني من النقد فنلخصه على النحو التالي: يضع هذا التحول الإنسان المعاصر أمام أزمة جديدة، فالاشتطاط في مشاركته الآلهة في الخلق وأداء دورها في هندسة الحياة، ينقلب عليه ويعاقبه بشدَّة لأنه يسير عكس طبيعة الخلق الإلهي، والشاهد على ذلك أننا نعيش اليوم تحقق نبوءة فرانكشتاين؛ وهي رواية تسرد قصة عالم خلق اصطناعيا كائناً يفقد فيما بعد السيطرة عليه، أو صنع مسخا ينبغي تدميره حماية لأنفسنا (هراري، 2018، صفحة 490). زيادة على ذلك تُسائل هذه الأزمة الإنسان في بعده الأنطلوجي؛ فالإنسان لا يُعدُّ إله فقط لأنه اجترح قدرة على الخلق بما مَكَّنَتهُ له التقنية بل لأنه يخلق إنساناً جديداً يمتلك قدرات فائقة ذهنية وجسدية، كائن جديد يعيش للأبد في سعادة دون مرض أو شيخوخة. هذا هو مبتغى الإنسانية الفائقة بما هي فلسفة للإنسان الجديد.

فضلاً عن ذلك، تضع فلسفة الإنسان الجديد معتقداتنا الايمانية التي كُنَّا نراها الى زمن قريب يقينا لا يتزعزع أمام تحديات جديدة تتطلب فتح أبواب الاجتهاد فهماً وتفسيراً واستنباطاً، فالتبشير بميلاد إنسان جديد فائق جراء التقدم الهائل الذي شهدناه -ولا يزال-في المجال البيوطبي والبيوتكنولوجي يزلزل الطمأنينة التي نستشعرها جراء يقين المعتقدات الإيمانية ويثير تساؤلات مدارها ما مدى حاجتنا إلى العقائد الايمانية في عصر أصبح بمقدورنا أن نجد العزاء في التقنو-علمي ونأمل في الخلاص عبر التوسل به؟ يجعلنا العلم نرتاب الآن في هاته العقائد، على نحو خاص فلسفة الابتلاء في الإسلام*، فهل ينبغي استبدال عقائدنا أو تعديلها لتتواءم مع ما أنتجه العلم والتقنية من مستحدثات؟

ففي أعقاب نظرية التَّطور التي خلخلت أهم عقيدة وهي الخلق في أحسن تقويم ها هي أطروحة الإنسانية المتحولة وما بعدها التي تُبَشِر بإنسان فائق تضع مسألة الخلق في أحسن تقويم، مرَّةً ثانية" موضع الارتياب (بوحناش، 2017، صفحة 352)، هل خلقنا الله في أحسن تقويم أم أن الإنسان المتحول الذي يمتلك مصيره بما مَكَّنَتْهُ له التقنو-علمي قادر على خلق صورة أقوم مما هي عليه حسب الإرادة الإنسانية؟ هل من المستساغ تقبل صورة جديدة لإنسان متألِّه أقدر من القادر العليم؟ إنسان يجترح بفضل التكنولوجيات الحديثة القدرة على تغيير القضاء والقدر واستبدال الطبيعة الهشة ومَنَاقِصِهَا التي اعتبرناها على مَرِّ الزمان ابتلاء للعبد وامتحاناً لصبره ورضاه بقضاء الله وقدره واعتصاماً بحبل ربه تكفيراً لخطياهاً، لجهة أن الابتلاء على قدر الايمان. هل سيبقى للمفاوتة بين أحوال الخلق التي جعلها الله سُنَّة لخلقه وحسن تدبيره من معنى إذا مَكَّنَت البيوتكنولوجيا والهندسة الوراثية من التَّلاعب بالخريطة الجينية وايجاد إنسان جديد فائق خال من العيوب؟ هل سيبقى من معنى وراء حكمته في خلقه للناس درجات تسخيراً بعضهم لبعض؟ وهو الذي يقول في محكم تنزيله:﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام : 1655].

تصطدم العقيدة الإسلامية بنازلة مستحدثة أو وضع مستجد يتطلب استحداث مناهج جديدة لتأويلات تفك عقدة التَّلاقي بين الأقطاب: عقيدة وإنسان وتقنية، وإن كان الله قد منح للإنسان مقداراً من العلم والمعرفة مصداقاً لقوله ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاسراء: 85]، فمن باب الاختبار والابتلاء، إن الإنسان جهول ظلوم لا ينفك يُغيِّر سنن الخلق غير راض بقضاء الله وقدره ولن يُسلِّمن أمره لخالقه وسيمضي إلى مبتغاه تدجينا للطبيعة بحسب رغباته الاستهلاكية المتسارعة، لذلك يؤاجره القدر بما أتت يداه، وعليه ينبغي استبدال الانسان الفائق برأي الدكتورة "نورة بوحناش" بإنسان مُتزكِّي، وفي هذا المعنى تقول في كتابها "البيواتيقا والفلسفة": "إعادة تعريف الانسان بوصف التزكية، يعيد وعي التقنية بوصفها وسيلة تمتين لعرى الحياة الصالحة وليس الراغبة. فيكون الانسان الصانع موجها بعقلانية نافعة، تعني تخطي عقلانية إجرائية جعلت كل مصنوع مرغوب فيه نافع، في حين قد يصنع الانسان هلاكه، فكيف

*- مصداقا لقوله:﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أحسن عَمَلًا﴾ [الملك: 2]

ترقع العقيدة الإسلامية عقيدة الحداثة بتأسيس اخر لمفهومي الطبيعة والعلم النافع؟" (بوحناش، 2017، صفحة 355).

6- خاتمة :

يدلل ميلاد فلسفة الانسان الجديد على انبثاق مرحلة جديدة في سلم الارتقاء جعلت الانسان ينتقل من التطور الى الاختيار، أو التحول عن الانتخاب الطبيعي الأعمى الى الاختيار الارادي، على نحو انتقلت الإنسانية من نسق التقييد الطبيعي إلى نسق جديد يكون فيه الانسان سيداً لمصيره، فالتقنو-علمي هو وسيلة الانسان للتحرر من الطبيعة.

بقدر ما يفتح هذا الانفتاح اللامشروط على التكنولوجيات الجديدة أفاقاً للتحسين البيولوجي للإنسان وإيجاد فاعل جديد فائق، بقدر ما تثير مخرجاته الكثير من المخاوف والتوجس، فلئن كان غرضها الهيمنة على الكيان البيولوجي للإنسان فهي تُمهّد لفصله عن ماهيته على نحو يقود إلى اغترابه عن ذاته الإنسية كنتيجة أولى للتَّحكم التقني. فلا شيء علمي وطبي يضمن على نحو مطلق أن يتوجَّه تحسين الإنسانية إلى الأحسن، وقد ينتهي إلى ما هو أسوأ، أعني التشوه والمسخ، فضلا عن أننا إذا نظرنا إلى المسألة من الناحية الدينية التقليدية نرى أن كل تحكم في الحي هو تدنيس للجسد، لأن الله وحده الذي يحتكر هذا الفعل، وإذا ما وسعنا الأمر ليشمل المؤيدين، مؤمنين كانوا أو لا، لتقديس الطبيعة البشرية سنفهم بأن الإقدام على تعديل الطبيعة البشرية ليس إلا سبيلا لتهديم الأخلاق الكونية، فالأخلاق ليست سوى احترام السمات الطبيعية المشتركة ببين الإنسانية، وعدم احترامها، أي الرغبة في تعديلها، هو ببساطة تهديم الأسس الطبيعية للأخلاق، ومن ثم كل تعديل لهباتنا البيولوجية يعلن بتعبير "فوكوياما" عن نهاية الإنسان.

**

7- المصادر والمراجع:

أ- المراجع باللسان العربي:

1- نورة بوحناش، البيوايتيقا والفلسفة، من الانسان الفائق الى الانسان المتزكي، المؤسسة العربية للفكر والابداع، (بيروت، 2017).

1- يوهان نوح هراري، العاقل، تاريخ مختصر للنوع البشري، ترجمة حسين العبري وصالح بن علي الفلاحي، دار منجول للنشر، (أبو ظبي 2018).

ب - المراجع باللسان الفرنسي:

1- Couturier, B. J. (2016). Le Transhumanisme, faut-il avoir peur de l'avenir ? Eyrrolles.

2- Dorthe, G. (2014). Modifier l'espèce humaine ou l'environnement? Les transhumanistes face à la crise écologique. Bioethica Forum, 7.(3)

2- Ferry, L. (2016). la révolution transhumaniste ;. Paris: Editions Plon.

3- Laurent, a. (2011). et su nous devenions immortels. Jean-Claude Lattés.

ج- المراجع باللسان الانجليزي:

1- Max More. (2013). A Letter to Mother Nature. A John Wiley & Sons, Inc.